مجلة الإحياء، المجلد: 19، العدد: 23، ديسمبر 2019، ص - ص: 109 – 136
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2406-2588

السنن الإلهية ومدى ارتباطها بحياة الناس
Divine Laws and their connection to people's lives

طالبة دكتوراه فريدة زعبوب[1] **الدكتور عمر حيدوسي**
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة1
zaboubfarida@outlook.com hidoussi.72@gmail.com
مخبر الانتماء: الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة

تاريخ الإرسال: 2019/10/27 **تاريخ القبول: 2019/12/28**

ملخص
تبحث هذه الوريقات موضوع السنن الإلهية، وارتباطها بحياة الناس، ارتباطا وثيقا بحيث يؤثر ذلك في حياة الأفراد والجماعات والأمم، تأثيرا مباشرا؛ نهوضا وسقوطا، تخلفا وازدهارا، نعمة ونقمة، وتشير أن النصر والتمكين، يخضع لأسباب وشروط محددة ذكرها القرآن الكريم وعني برصدها حتى لا يضيع على المسلمين هديها ونفعها.

الكلمات المفتاحية: السنن، الإلهية، الحياة، الناس، التمكين.

Abstract
The current paper investigates the subject of the Divine laws, and how closely they relate to people's lives, in such a way that this directly affects the lives of individuals, as well as groups and nations. Hence, this impact directly manifests the rise, fall, backwardness, prosperity, grace, and curse.

Key Words: Laws, Divine, Life, People

مقدمة:

لاشك أن الناظر لحال الأمة المسلمة اليوم ليفزعه أمرها، وما آلت إليه من تخلف وتبعية للغرب الكافر، وليحزنه مصير أبنائها الغامض، وهم يصارعون فوضى التطور، ويجابهون مصاعب الحياة الحديثة، في محاولة

[1]- مؤلف مرسل

بائسة للعودة بأمجاد الماضي لاستئناف الحياة الطيبة التي عاشها الرعيل الأول، زمن الخلافة الراشدة.

ويزداد هذا الواقع المرّ تراكما وتفاقما مع غياب الإصلاح والتجديد، وكل محاولة بائسة وعقيمة ذلك أن التغيير لم تنتهج النواميس الربانية المبثوثة في الخلق والكون، وغاب عنها فقه السنن الإلهية، وتنكبوها فأضحت فكل محاولة إصلاحية، إلا وتسقط هاوية في غيابات الجب، ولا سيارة تلتقطها؛ ولا عجب لهذا المصير، ولا تستغرب لغثائية الأمة الشاهدة بالرغم من توافر طاقاتها المادية والبشرية، فجهل السنن وعدم فقهها، والتنكب عنها، أو عملية القفز عليها؛ سبب التقهقر والتراجع الرهيب المشهود في ساحات المسلمين في هذا العصر.

ومرجع هذا إلى أن السنن الإلهية التي تحكم الحياة صارمة، دقيقة ثابتة، منظمة، لا تحابي، ولا تجامل ولا تتأثر بالأماني؛ من يريد إخراج الأمة من هذه الدائرة المفرغة، والتيه، والظلام، بارتجال الخطب لشحذ الهمم، واستنفار القوم؛ فهذا جهد ضائع، ومجانبة لسنن الله العادلة.

ومن هنا يتبدى لنا إشكال معرفي نصوغه كالآتي:

- ما المقصود بالسنن الإلهية التي تخرج الأمة من هذا المأزق؟
- كيف يتجلى ارتباط هذه السنن بحياة الناس حضورا وغيبا؟

ولبحث هذه القضية جاءت هذه الورقة البحثية مقسمة إلى مقدمة ومطلبين وخاتمة؛ كالآتي:

مقدمة: وعرضنا فيها أهمية الموضوع، والإشكالية المقصود معالجتها.

أولا- تعريف السنن لغة واصطلاحا.

ثانيا- أثر فقه السنن الإلهية في الحياة الدنيا.

ثالثا- سنة الله في التمكين والنصر

خاتمة، وتتضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

أولا- تعريف السنن لغة واصطلاحا

1- تعريف السنن لغة: جاء في كتاب العين: "سن: السن واحدة الأسنان... والمسَنُّ: الحجر الذي يُسنُ عليه السكين، أي يحدد.... والمسنون في كلام العرب المصور، وما أحسن سنة وجهه أي دوائره"[1].

والسنة "معناه الدوام" عند الكسائي فيما ذكره الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول[2].

- "سنن الطريق... معناه عن متن الطريق وقصره"، "سننت الماء على وجهي... صببت"[3].

- و"السنة" عن ابن فارس: "السين والنون أصل واحد مطرد وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أسنه سناً... ومما اشتقت منه السنة وهي السيرة... وإنما سميت بذلك لأنها تجري جريا". ومن ذلك قولهم "امض على سَنَنِك وسُنَنِك، أي وجهك، وجاءت الريح سَنَائِنَ، إذا جاءت على طريقة واحدة، ثم يحمل على هذا سننت الحديدة أسنها سَناً إذا أمررتها على السنان... فأما قولهم سن إبله إذا رعاها، رعاها حتى حسنت بشرتها، فكأنها قد صُقلت صقلا، كما تسن الحديدة"[4].

2- تعريف السنن اصطلاحا: يختلف تعريف لفظ السنن بحسب التخصصات والفنون بين العلماء، وفيما يلي رصد وتتبع لحده في جملة من الفنون:

أ- تعريف السنة في علم التفسير: نتناول مفهوم السنة في تفاسير القدامى، وبعدها نعرج على تفاسير المعاصرين.

فُسِرَ لفظ السنة بحسب موضعها من الآيات القرآنية، ولم تتنوع معاني اللفظ (السنة) كثيراً رغم تنوع التفاسير من تفاسير بالمأثور وأخرى بالرأي؛ لأن الأخذ عن السابق من اللاحق كان مجرد تقليد جامد دون اجتهاد فاعل، فتشابهت التعاريف رغم كثرة التفاسير المعتمدة في هذا البحث، حيث اطلعنا على عدد كبير منها، وبعد الاستقراء ظهر أن المعنى اللغوي لكلمة "سنة" هو الغالب في تعاريفهم الاصطلاحية.

فقد عرفها ابن جرير الطبري: "السنة المثال المتبع والإمام المؤتم به"[5]، وأضاف تعاريف أخرى للسنة في ثنايا تفسيره كالسبل، أمثال، وقائع، طرق، مناهج، وتبعه الواحدي[6]، على نفس التعريف.

وجاء بعدهما الرازي ليدخل لفظة الطريقة المستقيمة ويحافظ على جزء من تعريف الطبري فيصبح تعريف السنة عند الرازي: "الطريقة المستقيمة والمثال المتبع"[7].

تبع المفسرون المعاصرون أسلافهم القدامى لتبقى كلمة "السنة" تعرف عندهم بالطريقة، والعادة، والمثال، تعريف السلف دون أدنى اجتهاد يذكر، عدا بعض المحاولات المحتشمة من بعض المفسرين، لإعطاء حيوية وحركة وفاعلية لمصطلح "السنة"، ربما يعود هذا الاتباع للخوف والخشية من التجرؤ على كتاب الله، أو الحياء من الاجتهاد مع وجود أقوال السلف، مع أن التفسير لا يغلق له باب مع توفر الشروط. وفيما يلي عرض للفظ "السنة".

- يقول صاحب المنار في تعريف السنة "السنة الطريقة المعبدة والسيرة المتبعة"[8]. غير محمد رشيد رضا صفة المعنى اللغوي للسنة عند القدامى "الطريقة المستقيمة بالطريقة المعبدة".

- أما مصطفى المراغي، فأصبحت الطريقة المعبدة عنده الطريقة المعتبرة وحافظ على شق التعريف الثاني عند صاحب المنار حيث قال: "السنن واحدها سنة وهي الطريقة المعتبرة والسيرة المتبعة"[9].

- جاء بعدهم السعدي ليعرف السنة بـ "طرقهم القويمة"[10]، ليحافظ على نفس المعنى ويغير في صفة السنة فقط.

ب- السنة في علم الحديث: "كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقِية أو خُلُقِية أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها"[11].

وتطلق "السنة" أيضا على "ما أضيف إلى النبي – عليه الصلاة والسلام- من قول أو فعل أو تقرير"[12]. وهي بهذا المعنى ترادف معنى الحديث، وهي أعم منه لأنها تتناول الفعل والقول والتقرير.

ج- السنة في علم الفقه

- أطلق الفقهاء: "السنة على ما قابل الفرض"[13].

- "والسنة المصطلح عليها عند أكثر الفقهاء التي هي قسم الرغيبة، والمندوب المعبر عنه بالنافلة"[14].

- قال الطوفي في تعريف السنة: "هو المنقول عن النبي ﷺ قولا أو فعلا أو تقريرا"[15].

- "علماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد، وجوبا أو حرمة أو إباحة، أو غير ذلك"[16].

د- السنة في علم العقيدة: يرى أهل علم العقيدة أن السنة هي أصول الدين وتتعلق بالاعتقادات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقادات وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يعرف بمعرفة أحاديث النبي ﷺ الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وما تركه من قول وعمل، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان"[17].

و- السنة عند علماء الفكر الإسلامي: لقد نظر بعض المفكرين والكتاب المعاصرين إلى موضوع "السنن" نظرة كلية موضوعية واعتبروه منظومة متكاملة، حيث أسسوا من خلال تعاريفهم رؤية حضارية كلية لمفهوم "السنن".

وسنعرض فيما يلي لعلمين اثنين من رجال الفكر الإسلامي لنبرز نظرتهم المستجدة لموضوع "السنن".

ابن تيمية: يعرف ابن تيمية السنن بأنها: "السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، ولهذا أمر الله تعالى بالاعتبار"[18].

يريد شيخ الإسلام بهذا التعريف الوصول إلى أن وجوب الاعتبار دليل على وجود السنن، وبأن مجال السنن الكون المنظور والكون المسطور، لأن الأمر بالتدبر والاعتبار خاص، وجار فيهما.

محمد عبده: "الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون، وعلى حسبها تكون الآثار، وهي التي تسمى شرائع أو نواميس، ويعبر عنها قوم بالقوانين"[19].

وقد كان محمد عبده أول من أسس وأصل لموضوع السنن حيث أشار إلى السنن الإلهية في مؤلفاته وأعماله المتنوعة، وكتبه القيمة؛ فقد عرفها الإمام في كتابه الإسلام بين العلم والمدنية.

3- تعريف الحياة لغة واصطلاحا

أ- تعريف الحياة لغة:

جاء في كتاب العين باب اللفيف من (الحاء): حيو: "والحيوة كتبت بالواو ليعلم أن الواو بعد الياء، ويقال: بل كتبت على لغة من يفخم الألف التي مرجعها إلى الواو نحو: الصلاة والزكاة. ويقال: حَيَي يَحْيا فهو حيَّ، ويقال للجميع: حَيُّوا. ولغة أخرى: حيّ يَحي، والجميع: حَيوا خفيفة مثل: بقوا. والحيوان: كل ذي روح... الواحد والجميع فيه سواء.والحيوان: ماء في الجنة لا يصيب شيئا إلا حييَ بإذن الله. والحية اشتقاقها من الحياة، ويقال: هي في أصل البناء: حيوة... والحي نقيض الميت"[20]. والحياة: "ضد الموت، والمحَيا فعل من الحياة، تقول محياي ومماتي... قال العجاج: وقد ترى إن الحياة حي"[21]، الحياة: "هو العمر"[22]، عن ابن عباس قال: "فلنحيينه حياة طيبة"[23]، هو الرزق الحلال في الدنيا، والحي من كل شيء، نقيض الميت... قال أبو عبيدة قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 179)، أَي مَنْفَعة ومنه قوله ليس بفلان حياةٌ أَي ليس عنده نَفْع ولا خَيْر، أحيا القوم إذ أمطروا فأصابت دوابهم العشب حتى سمنت، وأحيا الله الأرض: "أخرج فيها النبات، وقيل إنما أحياها من الحياة كأنها كانت ميتة بالمحل فأحياها بالغيث، والحياة بقاء"[24].

وبعد هذه الرحلة في المعاجم اللغوية نصل إلى أن الحياة في اللغة تدور حول معاني (ضد الموت، العمر، الحيوان، الحركة، البقاء).

ب- تعريف الحياة اصطلاحا:

- الحياة: هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر، الحياة الدنيا: هي ما يشغل العبد عن الآخرة[25].

- الحياة هي بحسب اللغة عبارة عن قوة مزاجية تقتضي الحس والحركة وفي حق الله تعالى لا بد من المصير إلى المعنى المجازي المناسب له وهو البقاء[26].

- أما صاحب جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، فيقسم الحياة إلى قسمين:

الحياة العقلية: هي مبدأ الإدراك وغيره من الكمالات وهي غير مختصة بالحيوان بخلاف الحياة الحسية: التي هي مبدأ الحس والحركة الإرادية فإنها مختصة بالحيوان[27].

4- الحاجة إلى فقه السنن الإلهية

إن فقه السنن الإلهية غاية في الأهمية، له أثر بالغ وكبير سواء على مستوى حياة الأفراد أو الجماعات والأمم، وله دور عظيم كبير في فهم مقاصد وغايات حياة الإنسان على هذه المعمورة، وله الفضل الواسع في تجلية حقيقة مفهوم الأمانة الكبرى، أمانة الاستخلاف وهذا الفقه لا يُنال، و لا يُبلغ إلا بالرجوع إلى كتاب الله، وتدبره حق التدبر، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: 29)، وبتدبر القرآن يصل الإنسان إلى فقه سنن ترشده إلى معرفة الغاية من الحياة؛ ذلك أن كتاب الله يتحدث في نصوص كثيرة عن حياة الإنسان في مختلف أطوارها وباختلاف نظرة الناس لها. "إن القرآن الكريم يدعو الناس ويرشدهم إلى معرفة الغاية من حياتهم سواء كانت حياة فرد أم أسرة، حياة مجتمع أم دولة، أم حياة الإنسانية كلها"[28].

"إن تدبر السنن الإلهية في القرآن الكريم غاية في الأهمية، له أثر كبير في حياة الفرد والأمة، وله دور عظيم في تجلية معالم الماضي والحاضر والمستقبل"[29].

وبتدبر كتاب الله يستطيع الإنسان استنباط سنن الله تعالى في الحياة الدنيا، والتي بدورها إذا تدبرها وفقهها الإنسان، جعلها منهجا وخطة يسير وفقها ليحقق وجوده ويجعل لحياته قصدا أصيلا.

ثانيا- أثر فقه السنن الإلهية في الحياة الدنيا

إن هذا الكون ليزخر بسنن الله الجارية التي تحكم نظام الحياة الدنيا بمن فيها وما فيها، والتي يخضع لها الناس، وهي مرتبطة بوجودهم ارتباطاً كليّا ومن هذه السنن ما يلي:

أ- ارتباط السنن الكونية بحياة الناس

يمكن تعريف السنن الكونية بأنها: "مجموعة القوانين التي يسير وفقها الكون، والتي يستفيد منها الكائن الحيّ بما يؤهله، فيسخرها له ويستفيد منها، أنها نظم الكون المفتوح بما فيه ومن فيه المسيرة له، وفق ما أراد الله تعالى، مجالها الواسع السموات والأرض وما بينهما وما فيها"[30].

والقرآن الكريم زاخر بالسنن الكونية المرتبطة ارتباطاً وثيقا بحياة الناس ومنها:

- سنة الله في اختلاف الليل والنهار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164).

من خلال تفسير هذه الآية نصل إلى مدى ارتباط هذه السنة الكونية بمعايش الناس، ومصالحهم الدنيوية، فلا تستقيم حياة البشر لولا تعاقب الليل والنهار، ولا تقوم لهم قائمة؛ فالإنسان الضعيف مرتبط بسنة الليل وطلب الراحة ليسكن في ظلام الليل ويخلد إلى بيته باحثا عن نعمة النوم، نعم فالنوم نعمة عظيمة من نعم الله.

"يشير الأشعري إلى بعض مظاهر عظمة الله في الكون ومنها الليل الذي تستريح فيه العوالم من كد السعي والتعب، ففيه تأوي الحيوانات إلى بيوتها، والطيور إلى أوكارها، وتهدأ به نفوس وأجساد البشر... وكما جعل الليل راحة وسكوناً، جعل النهار حركة وانتشاراً لطلب المعاش وقضاء المصالح قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ (النبأ: 11)"[31].

ويقرر هذا المعنى كلام رائع لأبي موسى الأشعري، عن سنة الله الكونية، المتمثلة في اختلاف الليل والنهار.

يقول سيد قطب: "وتنمو معارف البشر، ويتسع علمهم عن بعض الظواهر الكونية... فيدركون أهمية هاتين الظاهرتين على سطح الأرض بالقياس إلى الحياة والأحياء؛ ويعرفون أن تقسيم الأوقات بين الليل والنهار بهذه النسبة على سطح هذا الكوكب عامل رئيسي لوجود الحياة وبقاء الأحياء؛ وأنه لو لم توجد هاتان الظاهرتان بهذا القدر وعلى هذا النظام لتغير كل شيء على هذه الأرض، وبخاصة تلك الحياة الإنسانية"[32].

حيث وبفقه الإنسان لهذه السنة الكونية يشعر بمدى ارتباطها بحياته، وصلاح معاشه، ويدرك تماما قدرة الخالق وإبداعه في خلق هذا الكون، فيتحرك وجدانه وحسه وتستيقظ فيه مشاعر الحب، والقرب من المنعم الذي علم ضعفه، وحاجته للراحة والسكينة في ظلمة الليل الدامس، فجعلها سنة كونية خادمة لهذا المخلوق الضعيف، سخرها له؛ وبذلك يعي جيدا حقيقة ما خُلق لأجله وهي مهمة وأمانة الاستخلاف والعمران، فيسعى مجدا مخلصا في الاضطلاع بوظيفته في ظل عبوديته لله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56) مع يقينه بأن الإسلام دين و شريعة للحياة البشرية هو جزء لا يتجزؤ من الناموس الكوني.

"والبشر جزء من هذا الكون خاضع لناموسه الكبير... وبذلك لا يخضع نظام البشر للأهواء فيفسد ويختل... وإنما يخضع للحق الكلي، ولتدبير صاحب التدبير"[33].

ومتى يؤمن بأن هذه السنن الكونية التي تحكم الليل والنهار مرتبطة بأساسيات حياته من رزق، وكد وسعي وخير ومصلحة، سعى إلى البحث عنها واكتشافها، ومن ثمة فقهها ومحاولة تدبرها ليسعد في حياته، وأن هذا النظام السنني ثابت لا يتغير، حقيق لا يمضي شيء منه جزافا، أو باطلا، يطمئن، ويخضع في تذلّل وانكسار واستسلام لخالق هذه السنن وموجدها.

"أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم؛ رحمة من الله لكم، وحجة منه عليكم، فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره، ولمن له القدرة التي خالف بها بين ذلك"[34].

ومن فوائد ومنافع اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما اختلاف الفصول، ومعرفة الأوقات والآجال، التي لا تستقيم حياة الناس لولا معرفتها، وتنظيم معاشهم وأعيادهم وأسفارهم وعبادتهم، وحمل المرأة ووضعها، وجل معاملاتهم قائمة عليها؛ ويبين ابن كثير في تفسيره منافع تعاقب الليل والنهار، فيقول: "يَمْتَنُّ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بِآيَاتِهِ الْعِظَامِ، فَمِنْهَا مُخَالَفَتُهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لِيَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ وَيَنْتَشِرُوا فِي النَّهَارِ لِلْمَعَايِشِ وَالصِّنَاعَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَسْفَارِ، وَلِيَعْلَمُوا عَدَدَ الْأَيَّامِ وَالْجُمَعِ وَالشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، وَيَعْرِفُوا مُضِيَّ الْآجَالِ الْمَضْرُوبَةِ لِلدُّيُونِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْإِجَارَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ"[35].

لا نغفل عن الجانب الوجداني لمنافع وفوائد تدابر وتعاقب الليل والنهار، وتعلقه بحس ومشاعر الإنسان المفطور على حب الجمال، وعشق المنظر الحسن، فلا يخفى على أحد روعة وجمال الليل، فقد تغنى به الشعراء والأدباء قديما وحديثا، ولا ينكر أحد بهاء الضياء وأشعته الدافئة.

"والناس يشتاقون إلى الصبح حين يطول بهم الليل قليلاً في أيام الشتاء، ويحنون إلى ضياء الشمس حين تتوارى عنهم فترة وراء السحاب! فكيف بهم لو فقدوا الضياء. ولو دام عليهم الليل... وإن الحياة كلها لمعرضة للتلف والبوار، لو لم يطلع عليها النهار... ما يسره الله لكم من نعمة ومن رحمة، وما دبره لكم واختاره من توالي الليل والنهار، ومن كل سنن الحياة التي لم تختاروها، ولكن اختارها الله عن رحمة وعن علم وعن حكمة"[36]. إن السنة الكونية التي تحكم الليل والنهار، ترتبط بها حياة الناس ومعايشهم وأرزاقهم وبها تبرز نعم الله ورحمته بعباده.

ب- ارتباط السلوك الإنساني بالأحداث الكونية

"تحكم نظام الدنيا ونراها منتشرة في الكون وفي الحياة، وفي سلوك الإنسان على السواء"[37]. ولقد سبق وأن بيَّنا العلاقة الوثيقة بين السنن الكونية وحياة الإنسان، ولا شك أن هذه السنن تحكم سلوك الإنسان كما تحكم الخلق والكون على سواء.

- ارتباط الطاعة بالأحداث الكونية: الاستغفار والتوبة سبب لإرسال المطر مدراراً

قال تعالى: ﴿وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: 52).

يقول الطباطبائي في تفسير هذه الآية الكريمة: "هناك ارتباط تام بين الأعمال الإنسانية و بين الأحداث الكونية التي تمسه فالأعمال الصالحة توجب فيضان الخيرات ونزول البركات، والأعمال الطالحة تستدعي تتابع البلايا والمحن، وتجلب النقمة والشقوة والهلكة"[38].

فهذا نبي الله هود عليه السلام يرشد قومه وهو مشفق عليهم من عاقبة الشرك والمعاصي بأن يطلبوا المغفرة، ويسرعوا إلى التوبة، لأن سنن الله جارية فيهم، كما مضت في من كان قبلهم، فقوم نبي الله نوح عليه السلام عبرة وموعظة لهم وقصتهم مع الطوفان معروفة وقريبة منهم "قدم قصة عاد على ما بعدها لأنها أقربها إلى قوم نوح"[39].

هذه السنن المتعلقة بسلوك الإنسان ذات العلاقة السببية، فتقديم الإيمان والتوبة سبب لإرسال المطر، والغيث، وإحياء الأرض الميتة من جراء القحط والجذب. "بتوفير الأسباب المؤدية إلى ذلك من الزرع والضرع والصناعة، والحصون والبروج وغير ذلك، وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زرع وضرع ومصانع وحصون وقصور"[40].

وهكذا يكون الجزاء بإنزال المطر مقابل الأمر بالاستغفار والتوبة، وتكون الطاعة سببا لسعة الرزق وزيادة القوة، وهما لا شك من أسباب الحياة الطيبة، التي تعتبر مطلب كل إنسان سوي السلوك .

يقول سيد قطب: "وننظر في هذا الوعد وهو يتعلق بإدرار المطر، ومضاعفة القوة، وهب أمورا تجري فيها سنة الله وفق قوانين ثابتة في نظام الوجود، ومن صنع الله ومشيئته"[41].

وربّ قائل يقول وما علاقة الاستغفار والتوبة، وحتى الإيمان، بإدرار الغيث وإرسال المطر ومنح القوة والبأس الشديد، فيرد سيد قطب على هذه الشبهة بما يلي: "فأما زيادة القوة فالأمر فيها قريب ميسور، بل واقع مشهود، فإن نظافة القلب والعمل الصالح في الأرض يزيدان التائبين العاملين قوة.

يزيدانهم صحة في الجسم بالاعتدال والاقتصار على الطيبات من الرزق وراحة الضمير وهدوء الأعصاب والاطمئنان إلى الله والثقة برحمته في كل آن؛ ويزيدانهم صحة في المجتمع بسيادة شريعة الله الصالحة التي تطلق الناس أحرارا كراما... كما تطلقان طاقات الناس ليعملوا وينتجوا ويؤدوا تكاليف الخلافة في الأرض؛ غير مشغولين ولا مسخرين بمراسم التأليه للأرباب الأرضية... ولقد تتوافر القوة لمن لا يحكمون شريعة الله في قلوبهم ولا في مجتمعهم، ولكنها قوة إلى حين. حتى تنتهي الأمور إلى نهايتها الطبيعية وفق سنة الله... فأما إرسال المطر. مدرارا فالظاهر للبشر أنه يجري وفق سنن طبيعية ثابتة في النظام الكوني. ولكن جريان السنن الطبيعية لا يمنع أن يكون المطر محييا في مكان وزمان، ومدمرا في مكان وزمان ; وأن يكون من قدر الله أن تكون الحياة مع المطر لقوم , وأن يكون الدمار معه لقوم، وأن ينفذ الله تبشيره بالخير ووعيده بالشر عن طريق توجيه العوامل الطبيعية"[42].

لما كانت الذنوب والمعاصي أسقاما وشدائد ومصائب؛ كان الاستغفار والتوبة دواء وتيسيرا وسببا لتنزل الخيرات والبركات والرحمات، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11)﴾ (نوح: 10-11).

وقد "سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمة الله عليه-: أيهما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ قال: إذا كانت المعاصي فالاستغفار هنا بالنسبة للعبد مقدم والجمع بينهما خير"[43].

"إنها حقيقة العلاقة بين القيم الإيمانية والقيم الواقعية في الحياة البشرية، وحقيقة اتصال طبيعة الكون ونواميسه الكلية بالحق الذي يحتويه هذا الدين... والحق في الجزاء على الخير والشر في الدنيا والآخرة"[44].

وهي نفس الحقيقة والعلاقة التي تربط بين سنن الله في كونه وبين سلوك الإنسان وأفعاله وتصرفاته، والتي توضح أن سنن الله في كونه وخلقه على السواء تقوم على مبدإ السببية، فمتى ارتبطت أفعال الإنسان وسلوكه بالطاعة كان الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة.

- الإيمان والتقوى سبب لفتح بركات السماء والأرض

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: 96).

لما كانت التقوى من أعظم الفضائل التي ذكرها القرآن، والتي تسعد صاحبها في الدنيا والآخرة، ولهذا اقترن ذكرها بمعان إيمانية سامية[45]. قال القرطبي: "الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى كَانَ عَامًّا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ"[46].

من ثمرات التقوى والإيمان منح البركات، وفتح أبواب الخيرات من السماء والأرض على السواء، وهذا وعد الحق الذي، لا يخلف وعده، ولكن هذا الوعد جاء مشروطا بأمرين متلازمين (الإيمان والتقوى)، وهذا الوعد الحق مضت به سنة الله في الأمم والجماعات القائمة على ارتباط النتائج بالمقدمات ، فالخطاب عام لكل القرى والأمم والجماعات متى قدموا الإيمان والتقوى كشرط أولي جاءت الخيرات والبركات، وفاضت أعين الأرض والسماء بمختلف النعم التي فطر الإنسان على الفرح والسعادة بها، والسعي للفوز بها، والمحققة للحياة الطيبة. والمنهج القرآني يكثر من الربط بين السنن الكونية وبين حياة الإنسان، وعبوديته لربه، وهي دعوة الإنسان إلى النظر والتدبر، والاعتبار بسنن الله في خلقه وكونه، فهي تجري بالعدل في حياة الناس.

يقول سيد قطب في بيان هذه السنة ومدى ارتباطها بسلوك الإنسان "فذلك هو الطرف الآخر لسنة الله الجارية. فلو أن أهل القرى آمنوا بدل التكذيب، واتقوا بدل الاستهتار؛ لفتح الله عليهم... بركات... مفتوحة بلا حساب من فوقهم ومن تحت أرجلهم. والتعبير القرآني بعمومه وشموله يلقي ظلال الفيض الغامر، الذي لا يتخصص بما يعهده البشر من الأرزاق والأقوات... إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في طيبات الحياة.. بركات تنمي الحياة وترفعها في آن"[47].

فهذه سنة الله في ابتلاء عباده المؤمنين المتقين بالنعماء، والبركات، كما يبتلى بالضراء القوم المكذبين فسنة الله لا تتخلف، ومشيئته لا تتوقف، ووعده لا يخلف، وهذه آية أخرى من كتاب الله العزيز تقرر حقيقة مطلقة في ارتباط

السلوك الإنساني والمتمثل في الطاعة بالأحداث الكونية، وسنن الله المتعلقة بسعة الرزق وحصول الطيبات في الحياة.

فدعوة القرآن هاهنا بيّنة جلية تتلخص في ضرورة الإيمان، والاعتبار بالسنن كمقدمة لحصول النتيجة المنطقية، ألا وهي إغداق النعم "بَيَانُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِمَا دَعَا اللهُ إِلَيْهِ، وَالتَّقْوَى فِي الْعَمَلِ بِشَرْعِهِ فِعْلًا وَتَرَكًا، سَبَبٌ اجْتِمَاعِيٌّ طَبِيعِيٌّ لِسَعَةِ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَخَيْرَاتِهَا عَلَى الْأُمَّةِ"[48].

والخلاصة أن السنن الإلهية الكونية ليست بمعزل عن واقع حياة الناس واجتماعهم وتاريخهم، وإن الطاعة سبب رئيس، ومن أكبر المؤهلات للفوز بالحياة الطيبة.

- ارتباط المعصية بالأحداث الكونية.

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134)﴾ (الأعراف: 133- 134).

وتمضي سنة الله الجارية في أخذ المكذبين بالضراء قبل الهلاك، وعذاب الاستئصال والإبادة، فيبدأ الأخذ بأنواع الابتلاءات المختلفة كالمجاعات والجوائح، والأمراض والزلازل، فهذه سنته الجارية في تعذيبهم بأنواع البلاء دون الاستئصال والدمار الأخير، وهكذا تكون سنة الله في القوم المجرمين والمنحرفين سببا في إهلاك الأمم؛ والقرآن الكريم عرض الكثير من قصص القرون الماضية، وأخبار الأمم الغابرة، للاتعاظ بأحوالهم، والاعتبار بعاقبتهم. ولحصول العبرة والموعظة نقف على بعض أنواع العذاب الذي كان سببا في هلاك الأمم والأقوام الغابرة.

- الاستكبار والإجرام سبب لوقوع الرجز

الرجز: العذاب والعقوبة[49].

ما ذكر الرجز في القرآن الكريم إلا كان خاصا بالعذاب والعقاب، وبين محمد رشيد رضا المراد من الرجز في تفسيره "أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الرِّجْزِ جِنْسُهُ، وَهُوَ كُلُّ عَذَابٍ تَضْطَرِبُ لَهُ الْقُلُوبُ أَوْ يَضْطَرِبُ لَهُ النَّاسُ فِي شُئُونِهِمْ

وَمَعَايِشِهِمْ، وَهُوَ يَشْمَلُ كُلَّ نِقْمَةٍ وَجَائِحَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى قَوْمِ فِرْعَوْنَ كَالْخَمْسِ الْمُبَيَّنَةِ"(50)، في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ...﴾ (الأعراف: 133-134).

ومن سنة الله تعالى الكونية التي يسلكها مع عباده الظالمين، المتجبرين أنه يذيقهم أنواعا من العذاب، والنكال والنقمات قبل الهلاك التام، وفي هذا إنذار لهم شديد بإمكانية حلول الاستئصال والدمار العظيم الذي يأتي على إبادتهم، وهو نوع من الإمهال مع معاينة جزء من العذاب المهين، فإن عادوا على ما كانوا عليه من التكذيب والإعراض عن اتباع هدى الأنبياء والرسل، كشف عنهم العذاب، واستبدله بالنعم والبركات، وإن عاندوا واستمروا على غيهم وتكذيبهم وظلمهم سلط عليهم بعد ذلك ألوانا مختلفة ومتنوعة من عذاب الاستئصال والدمار والهلاك التام ويستبدل بهم قوما آخرين، قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ (النساء: 133)، وقال أيضا: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (الأنعام: 133).

لقد عاقب الله فرعون وقومه بتسليط الماء وإفاضته عليهم "حتى أَحاط بهم وملأَ بيوتهم وغطَّى أَرضهم وزرعهم، فأَتلف الزروع ومنع الناس من حرث الأَرض والسير في الطرق لقضاءِ حوائجهم وتدبير شؤون حياتهم، وسلط عليهم الجراد الذي أَكل الزرع والغرس والثمار، وأَلحق بأَبواب بيوتهم وسقوفهم التلف والدمار؛ وأَرسل عليهم الْقمَّلَ أَيضًا فملأَ ثيابهم وأَجسامهم وشعورهم وعيونهم، والضفادع ملأَت المنازل والمضاجع والأطعمة - والأَشربة حتى أَقلقتهم وصاروا لا يطيقون الحياة معها. وأَصابهم الدم الذي اختلط بالماءِ فصاروا لا يستسيغون شربه"(51)، ومع كل هذه الآيات المفصلات الواضحة الدالة على أنها غضب من الله وعقوبة لكفرهم لم يعتبروا بما سلط عليهم، وما ذاقوا وبال إعراضهم وأصروا على ما كانوا عليه من كفر وتكذيب، واستكبروا عن عبادة الله وأصروا على الجرم والذنب، رغم وعدهم لنبيهم عليه السلام بأنه لو كشف الله عنهم هذا الرجز ليؤمنوا، ويصدقوا بها أنزل عليه من ربه ولكن هيهات، فالمجرمون والمنحرفون لا عهد لهم فقد ألفوا الكفر، واعتادوا التكذيب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا

حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: 34)، وقال عز قائل: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: 147).

"فكشف عنهم الدم، فقالوا: يا موسى، لن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل! فكانت آيات مفصَّلات بعضها على إثر بعض، ليكون لله عليهم الحجة، فأخذهم الله بذنوبهم، فأغرقهم في اليمّ"[52].

فلما كذبوا بالآيات المفصلات التي جاءت الواحدة تلو الأخرى بعد أن كشف الله عنهم العذاب، فحقت عليهم سنة الله في إهلاك القوم الظالمين وفق سنن الله العادلة.

- التكذيب بالآيات سبب للإغراق.

قال تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأنفال: 54).

لما اعتاد الكفار على التكذيب والكفر بالآيات حق عليهم عذاب الإغراق، فسنة الله الجارية في الأمم المكذبة بأن الله لا يهلك قوما إلا بعد إنذارهم، وبذلك يقيم عليه الحجة، وحين يأتي العذاب يكون شديدا غليظا.

ففي ذكر آل فرعون وبيان عذاب الله لهم؛ والمتمثل في الإغراق حثا على الاعتبار بأحوالهم ومآلهم وما أصابهم من عذاب، "فَعَلَ هَؤُلَاءِ من المشركين المكذبين بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ، كَمَا فَعَلَ الأمم الْمُكَذِّبَةُ قَبْلَهُمْ، فَفَعَلْنَا بِهِمْ مَا هُوَ دَأْبُنَا أَيْ عَادَتُنَا وَسُنَّتُنَا فِي أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ بِالرُّسُلِ، الْكَافِرِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ أي بسبب ذنوبهم أهلكهم وأخذهم أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ أَيْ لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ وَلَا يَفُوتُهُ هارب"[53].

فمن عدل السنن الإلهية وثباتها وجريانها على الكل بنفس الوتيرة، فحين تتوفر نفس الأسباب وتوجد نفس المقدمات تعطى نفس النتائج ونفس المسبَّبات؛ لذا لا تستعجب يا محمد فكما حلّ العذاب على الأقوام الغابرة، سيحل على كفار مكة.

- أثر الوعي بالسنن في حياة الناس

إن لموضوع السنن أهمية عظمى، ودور بارز في حياة الناس يكمن في تجليه معالم الماضي البعيد وفهم الحاضر المعاش، واستشراف المستقبل الزاهر.

وبوضع اليد على هذه الثلاثية المهمة، وجمع أطراف المعادلة الصعبة، يستطيع الإنسان أن يحي حياة طيبة؛ ذلك أن لفقه هذه السنن الربانية ومن ثمة الوعي بها أثر بارز في حياة الناس، فكشف وقراءة معالم الماضي، وتحليلها ذاك هو الاعتبار المطلوب، المؤدي إلى الاستبصار والوعي، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: 46)، فبالاعتبار بأخبار الماضين "تبصر بالسلوك الصحيح، وتعصم من الوقوع في أخطاء السابقين"[54]، وبعد التبصر والاعتبار يأتي دور التحليل والدرس، لاجتناب سقطاتهم، والابتعاد عن مواضع السقوط، ومواطن الانهيار، التي قادتهم إلى الاستدمار، فحركة التاريخ صعودا، ونزولا، محكومة بوعي السنن وفقهها، ومجاراتها، وعدم التنكب عنها، وفي إدراكها، وتسخيرها وحسن استثمالها، فهما أشمل، وأكمل لحاضر الناس، وتحقيقا لمصالحهم في معاشهم.

ذلك أنه لا سبيل للفوز بحاضر مرضي، مشرفا إلا بالعمل بمقتضى سنن الله تعالى في الكون والمجتمع، والإنسان، فإن دراسة سنن قيام الجماعات والأمم، والحضارات وسقوطها، تعتبر منارة هادية في الوصول إلى الفوز بواقع سعيد، هنيء، وحاضرا مزدهرا متطورا؛ ومن هذه السنن التي يجب فقهها، والوعي بها، وحسن استثمارها في الحاضر المعاش.

ثالثا- سنة الله في النصر والتمكين:

حتى يمكن للجماعة المسلمة اليوم، كما مكن الله لها في القرون الخيرية الأولى؛ وهذا أبرز أثر لفقه السنن الإلهية في حياة الناس.

عرف الدكتور رمضان خميس زكي سنة الله في التمكين "بأنها قانون الله المطرد في خلقه، ونظامه الحاكم المهين في أفعالهم الذي إذا اتبعه عباده أقدرهم على التصرف في أرضه والهيمنة عليها، وجعل لهم مكانة مكينة في كيفية التعامل مع مفرداتها، وإحسان توظيفها"[55].

ذكرت كلمة التمكين في القرآن الكريم حوالي ثماني عشرة مرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (الأنعام: 6)، قال الرازي في معنى مكناهم: " مَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ جَعَلَ لَهُ مَكَانًا وَنَحْوَهُ فِي أَرْضٍ لَهُ... أَثْبَتَّهُ فِيهَا... وَالْمَعْنَى... الْبَسْطَةِ فِي الْأَجْسَامِ وَالسَّعَةِ فِي الْأَمْوَالِ وَالِاسْتِظْهَارِ بِأَسْبَابِ الدُّنْيَا"[56].

فالتمكين إذن يشمل كل ما يحقق الحياة الطيبة، ويوفر للإنسان أسباب السعادة من صحة الأبدان، وسعة الرزق وغيرها، ويضيف الشوكاني معنى آخر للتمكين يقول: "أَنَّا أَعْطَيْنَا الْقُرُونَ الَّذِينَ هُمْ قَبْلَكُمْ مَا لَمْ نُعْطِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَطُولِ الْأَعْمَارِ وَقُوَّةِ الْأَبْدَانِ"[57].

فالتمكين عطاء من الله وزيادة فضل في القوة المادية[58]، أما صاحب التحرير والتنوير فهو يرى أن: "التمكين يطلق على التثبيت والتقوية والاستقلال بالأمر... والتمكين في الأرض تقوية في منافع الأرض والاستظهار بأسباب الدنيا، بان يكون في منعة من العدو وفي سعة في الرزق، وفي حسن حال"[59].

تدل الآية صراحة أن الله مكنّا للأمم البائدة، "حيث منحهم الغنى والسعة والاقتدار على التعمير، فعمروا الأرض وبنوا الحصون والقصور"[60].

وآثار هذا التمكين قائمة إلى هذا اليوم، وفي ذلك دعوة للنظر والاعتبار، ورغم هذا التمكين كذبوا وعصوا فحلت عليهم سنة الله المطردة في عقاب المكذبين؛ والجميل أن سنة التمكين لم تذكر في القرآن الكريم إلا للكفار المكذبين، فقد وردت أيضا كجزاء عادل للمؤمنين المصدقين، وهذا هو المراد في هذه الدراسة، فمن الآثار الإيجابية لفقه سنن الله حصول التمكين في الحياة الدنيا، ومن ثمة الفوز بطيب الحياة، فهذه الآيات التي سوف نسوقها لبيان سنة التمكين للمؤمنين تبعث الأمل والطمأنينة في النفوس، وتحفز على التسابق إلى اكتشاف وفقه سنن الله العادلة وتفعيلها في حياتهم بشكل إيجابي، لينالوا وعد الله الحق في النصر والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ

اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)﴾ (الحج: 38-41).

يقول الرازي في تفسير قوله: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الحج: 41) "والمراد من هذا التمكين السلطنة ونفاذ القول على الخلف"[61].

أنها سنة الله في التمكين والنصر التي ترتبط فيها النتائج بالمقدمات؛ والأسباب بالمسببات "فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته، المشروط بتكاليفه وأعبائه... والأمر بعد ذلك لله، يصرفه كيف يشاء، فيبدل الهزيمة نصرا، ..."[62]، إنه التمكين والنصر الذي يؤدي إلى تحقيق نواميس الله، وقوانينه في الحياة، سنن لا تحابى ولا تجامل ولا تعطي النصر، النهوض، ولا الاستخلاف والتعمير جزافا، بل وفق سنن مضبوطة بقوانين تحكم سير التاريخ وتوجه أحداثه يطلق عليه اسم السنن التاريخي، "وهي الضوابط والقوانين التي تحكم التاريخ"[63]، أو "القوانين التي تتحكم في مسيرة التاريخ البشري، وفي حركته وتوجيه أحداثه"[64].

ومن هذه الآيات التي ورد فيها ذكر سنة التمكين للمؤمنين، عطاء من الله، وفضل عظيم، قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: 21).

والتمكين ليوسف (عليه السلام) كان على مراحل، المرحلة الأولى: إنقاذه من القتل الذي همّ به إخوته حيث عزموا على التخلص منه بالقتل لولا رحمة الله به، فانصرفوا من القتل إلى إلقائه في غيابات الجب، أما المرحلة الثانية: فكان بإنقاذه من البئر وإخراجه عن طريق السيارة، والمرحلة الثالثة: التمكين له بأن جعله العزيز أمين على خزائن مصر، وسبب هذا الأخير أي التمكين على خزائن مصر، سببه تعليمه تأويل الأحاديث فلولا لم يمكن له في هذا الأمر لما خرج من السجن، ولا وليا هذه المكانة والمرتبة العظيمة، قال

تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: 54).

يقول الرازي: "وَكَذالِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الأرْضِ أي كما أنعمنا عليه بالسلامة من الجب مكناه بأن عطفنا عليه قلب العزيز حتى توصل إلى أن صار متمكناً من الأمر والنهي في أرض مصر"[65].

وإذا تتبعنا سنة الله في التمكين ليوسف عليه السلام وقفنا على أسباب هذا التمكين باعتبار ارتباط السنن بمبدأ السننية، فاجتمعت ليوسف عليه السلام عدة أسباب لينال هذا التمكين في أرض مصر، منها العفة، والعلم بتأويل الأحاديث، والحرص على نفع الناس، وتحقيق مصالحهم في معاشهم، قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 55).

يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية: "والأزمة القادمة وسنو الرخاء التي تسبقها في حاجة إلى الحفظ والصيانة والقدرة على إدارة الأمور بالدقة وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها، وفي حاجة إلى الخبرة وحسن التصرف والعلم بكافة فروعه الضرورية... وأن وراءها خيراً كبيراً لشعب مصر وللشعوب المجاورة... ولم يكن يوسف يطلب لشخصه... لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الأزمة"[66].

فجعل نفسه مسؤول على ضرورة الحفاظ على أمور الناس "أنه عليه السلام كان مكلفا برعاية مصالح الخلق"[67]، فهذه بعض الأسباب التي كان بها التمكين ليوسف عليه السلام؛ فلما حفظ يوسف عليه السلام مصالح الناس، ورعاها حق رعايتها، مستعملا ما علمه الله إياه في تحقيق منافع الخلق، وتلبية حاجاتهم الضرورية المؤدية إلى حفظ كلية، ومقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية، فحفظ النفس بتوفير الأكل اللازم لبقاءها حية، من أكمل وأفضل درجات العلم النافع، بهذه الأوصاف استحق يوسف عليه السلام أعلى درجات التمكين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: 56).

"على هذا النحو مكنا ليوسف في الأرض، وثبتنا قدميه، وجعلنا له فيها مكانا ملحوظا، ... يتخذ منها المنزل الذي يريد، والمكان الذي يريد، والمكانة

التي يريد، في مقابل الجب وما فيه من مخاوف، والسجن وما فيه من قيود... فنبدله من العسر يسرا، ومن الضيق فرجا، ومن الخوف أمنا، ومن القيد حرية، ومن الهوان على الناس عزا ومقاما عليا"[68].

فهذه بعض فوائد التمكين وأثاره، نستخلص من خلال التمكين يوسف عليه السلام خاصة وللمؤمنين عامة.

آثار التمكين:

- تيسير الصعاب.
- تفريج الضيق.
- تحقيق الأمن والطمأنينة بعد الخوف والفزع.
- نيل الحرية وفك القيود.
- العزة بعد الهوان، والمقاومة العالية بين الناس.
- الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (57) ﴾ (النور: 55-75).

يقول محمد رمضان خميس: "هذه الآية عمدة قضية التمكين ودرة تاجها وتكاد تكون في المحور والمعلم الأساس الجامع لأسباب وآثار التمكين في حياة الناس"[69].

فبدت بذلك سنة التمكين سنة من سنن الله الثابتة التي أساسها عدل الله وسعة فضله ورحمته بعباده.

الخاتمة: في ختام هذا البحث يمكن إجمال نتائجه في النقاط التالية:

1- إن السنن الإلهية ترتبط بحياة البشر ارتباطا وثيقا.

2- تجري السنن الإلهية في الحياة البشرية دقيقة، منتظمة، صارمة، كالسنن الكونية سواء.

3- ترتبط السنن الكونية بالسلوك الإنساني إيجاباً وسلباً.

4- ارتباط طاعة الإنسان وعبادته لربه بالسنن الكونية.

5- ارتباط معاصي الأقوام والأمم بالسنن الكونية.

6- إن تحقيق سعادة الأفراد والجماعات مرتبطة بفقه السنن الإلهية حضورا وغيبة.

7- حاجة البشر الماسة لفقه السنن الإلهية.

8- إن النصر والتمكين سنتان من سنن الله العادلة.

9- من آثار فقه السنن وتطبيقها الفوز بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

قائمة المصادر والمراجع

1) أحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، 1415هـ 1995م، بيروت، لبنان، دار الفكر.

2) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، معجم مقياس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

3) أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط 1، 1365هـ- 1946م، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

4) احزمي سامعون، الحياة في القرآن الكريم، ط 1، 1418هـ- 1997م، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع.

5) أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، بيروت، دمشق، لبنان.

6) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: الشيخ عادل بن أحمد عبد الموجود، ود. عبد الرحمان عويس، ط 1، 1415هـ- 1994م، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

7) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، ط 1، 1413هـ، السعودية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

8) حسين شرفة، سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، ط 1، 1429هـ- 2008م، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون.

9) راشد سعيد شهوان، السنن الربانية في التصور الإسلامي، د.ط، 1411هـ- 1991م، عمان الأردن، الأكادميون للنشر والتوزيع.

10) رشيد كهوس، تدبر السنن الإلهية عند السلف الصالح، ط 1، 1437هـ- 2015م، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع.

11) ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، كتاب الألفاظ، تحقيق د. فخر الدين قجاوة، ط 1، 1998م، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، باب أسماء الطريق، باب صفات النساء.
12) سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع نجم الدين، شرح مختصر الروضة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، 1407هـ- 1987م، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
13) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط 1، 1417هـ- 1997م، بيروت، مؤسسة الإعلام للمطبوعات.
14) طاهر بن صالح ابن أحمد بن موصب السمعوني الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، ط 1، 1416هـ- 1995م، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية.
15) ابن عابد بن محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، رد المختار على الدر المختار، ط 2، 1412هـ- 1992م، بيروت، لبنان، دار الفكر.
16) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الوصية الكبرى، رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر الأموي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، ط 1، 1408هـ- 1987م، الطائف، السعودية، مكتبة الصديق.
17) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، ترتيب عبد الرحمن قاسم وابنه، بيروت، دار الكتب العلمية، 1412هـ.
18) عبد الرحمن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط 1، 1420هـ- 2000م، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
19) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط 2، 1384هـ-1964م، القاهرة، دار الكتب المصرية.
20) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ط 2، 1420هـ، بيروت، دار إحياء التراث.
21) عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ط 1، 1421هـ - 2000م.
22) علي بن نايف الشحود، المهذب في تفسير سورة الملك، ط 1، بهانج دار المعور.
23) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، ط 3، 1420هـ، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
24) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط 2، 1420هـ - 1999 م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

25) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، ط1، 1412هـ، بيروت، دار القلم.
26) مجدي محمد محمد عاشور، السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم، أصول وضوابط، ط 2، 1428هـ- 2007م، القاهرة، دار السلام.
27) مجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط 1، 1393هـ- 1973م، 1414هـ- 1993م، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
28) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط 1، 1420هـ- 2000 م، بيروت، مؤسسة الرسالة.
29) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسني، تفسير القرآن الحكيم، الشهير باسم "تفسير المنار"، (د. ط)، 1990م، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
30) محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدينة، ط 1، 1993م، دمشق، سوريا، دار الصدى للثقافة، 2002م.
31) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، ط 1، 1996م، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.
32) محمد بن علي بن محمد عبد الله الشوكاني اليمني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، ط 1، 1419هـ- 1999م، دمشق، دار الكتاب العربي.
33) مصطفى بن حسين السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط 3، 1402هـ- 1982م، سوريا، دمشق، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي.

الهوامش:

[1]- الخليل الفراهيدي، العين، ج 1، ص 7، بتصرف قليل.

[2] - محمد بن علي بن محمد عبد الله الشوكاني اليمني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، ط 1، 1419هـ- 1999م، دمشق، دار الكتاب العربي، ج 1، ص 95.

[3] - ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، كتاب الألفاظ، تحقيق د. فخر الدين قجاوة، ط 1، 1998م، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، باب أسماء الطريق، باب صفات النساء، ص: 218-343.

[4] - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، معجم مقياس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، لبنان، دار الفكر، 1399هـ- 1979م، ج 3، باب سن، ص: 60-61.

[5] - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط 1، 1420هـ- 2000م، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ج 7، ص: 228- 229- 230، ج 8، ص 209.

[6] - أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: الشيخ عادل بن أحمد عبد الموجود، ود. عبد الرحمان عويس، ط 1، 1415هـ- 1994م، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج 1، ص 496، ج 2، ص 37.

[7] - الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، ط 3، 1420هـ، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ج 9، ص 369.

[8] - محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسني، تفسير القرآن الحكيم، الشهير باسم "تفسير المنار"، (د. ط)، 1990م، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، ج 4، ص 114.

[9] - أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ط 1، 1365هـ- 1946م، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج 4، ص 74.

[10] - عبد الرحمن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط 1، 1420هـ- 2000م، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ج 1، ص 666.

[11] - مصطفى بن حسين السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط 3، 1402هـ- 1982م، سوريا، دمشق، بيروت، لبنان، المكتب الإسلامي، ج 1، ص 47.

[12] - طاهر بن صالح ابن أحمد بن موصب السمعوني الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، ط 1، 1416هـ- 1995م، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ج 1، ص 40.

[13] - أحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، 1415هـ 1995م، بيروت، لبنان، دار الفكر، ج 1، ص 21.

[14] - نفسه، ج 1، ص 21.

[15] - سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع نجم الدين، شرح مختصر الروضة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، 1407هـ 1987م، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، باب تعريف الخبر، ج 2، ص 63.

[16] - مصطفى بن حسن السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط 3، 1402هـ- 1982م، بيروت، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، ج 1، ص 49.

[17] - شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الوصية الكبرى، رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر الأموي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، ط 1، 1408هـ 1987م، الطائف، السعودية، مكتبة الصديق، ج 1، ص 78.

[18] - الحراني أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتناوى، ترتيب عبد الرحمن العمي وابنه، بيروت، دار الكتب العلمية، 1412هـ، ج 3، ص 69.

[19] - محمد عبده الإسلام بين العلم والمدينة، ط 1، 1993م، دمشق، سوريا، دار الصدى للثقافة، 2002م، ص 77.

[20] - الخليل الفراهيدي، العين، ج 3، ص 317- 318، باب اللفيف من الحاء.

[21] - دار الفارابي، الصحاح، ج 6، ص 2323.

[22] - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة ج 4، ص 140.

[23]- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، ط1، 1412هـ، بيروت، دار القلم.

[24] - ابن منظور، لسان العرب، ج 14، ص 211-217.

[25] - الجرجاني، التعريفات، ج 1، ص 94.

[26] - الكفوي، الكليات، ج 1، ص 406-407.

[27]- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ط 1، 1421هـ - 2000م، ج 2، ص 49.

[28]- احزمي سامعون، الحياة في القرآن الكريم، ط 1، 1418هـ 1997م، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ج 3، ص 961.

[29]- رشيد كهوس، تدبر السنن الإلهية عند السلف الصالح، ط 1، 1437هـ 2015م، القاهرة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ص 7.

[30] - راشد سعيد شهوان، السنن الربانية في التصور الإسلامي، د.ط، 1411هـ 1991م، عمان الأردن، الأكادميون للنشر والتوزيع، ج 1، ص 87.

[31]- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، ط 1، 1413هـ، السعودية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ج 1، ص 88

[32]-سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 18، ص 2475.

[33]- نفسه ج18، ص 2476.

(34)- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط 1، 1420هـ - 2000 م، مؤسسة الرسالة، ج 19، ص 613.

(35)- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط 2، 1420هـ - 1999 م، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج 5، ص 49.

(36)- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 20، ص 2708.

(37)- مجدي محمد محمد عاشور، السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم، أصول وضوابط، ط 2، 1428هـ- 2007م، القاهرة، دار السلام، ص 37.

(38)- السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ط 1، 1417هـ- 1997م، بيروت، مؤسسة الإعلام للمطبوعات، ج 1، ص 300.

(39)- مجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط 1، 1393هـ- 1973م، 1414هـ- 1993م، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ج 4، ص 205.

(40)- نفسه، ج 4، ص 207.

(41)- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 12، ص 1897.

(42)- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 12، ص 1897- 1898.

(43)- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 433.

(44)- علي بن نايف الشحود، المهذب في تفسير سورة الملك، ط 1، بهانج دار المعور، ج 1، ص 148.

(45)- انظر حسين شرفة، سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، ط 1، 1429هـ- 2008م، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ص 394-395.

(46)- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط 2، 1384هـ-1964م، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج 5، ص 408.

(47) - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 3، ص 1338-1339-1340.

(48)- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم، 1990م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 9، ص 480.

(49)- انظر مجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط، ج 3، ص 1499.

(50)- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، ط 2، 1420هـ، بيروت، دار إحياء التراث، ج 3، ص 525.

(51)- مجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط، ج 3، ص 1498.

(52)- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط 1، 1420هـ- 2000 م، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج 13، ص 60.

(53)- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 4، ص 78.

(54)- حسين شرفة، سنن الله في إحياء الأمم في ضوء القرآن والسنة، ط 1، 1429هـ- 2008م، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ص 9.

[55]- محمد رمضان خميس زكي، سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم، ط 1، 1426هـ- 2015م، القاهرة، دار المقاصد، ص 13.
[56]- الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 484.
[57]- محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، ط 1، 1414هـ، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ج 2، ص 115.
[58]- ينظر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط 5، 1424هـ- 2003م، السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ج 7، ص 36.
[59]- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، د.ط، 1984م، تونس، الدار التونسية للنشر، ج 7، ص 136.
[60]- مجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط، ج 3، ص 1201.
[61]- الرازي، مفاتيح الغيب، ج 23، ص 230.
[62]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 17، ص 2429.
[63]- أبو اليسر رشيد كهوس، السنن الإلهية في السيرة النبوية، ط 1، 1438هـ- 2017م، القاهرة، دار السلام، ص 44.
[64]- سنن الله في الآفاق والأنفس وعلاقتها بالمجتمع، مقال: محمد أمحزون، المنشور بمجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي بلندن، العدد 243، 2007م، ص 70.
[65]- الرازي، مفاتيح الغيب، ج 18، ص 434.
[66]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 13، ص 2005.
[67]- الرازي، مفاتيح الغيب، ج 18، ص 434.
[68]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 13، ص 2014.
[69]- محمد رمضان خميس زكي، سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم، ص 19.